٢- مكتشف الكنوز

(أحمد كمال باشا)

قالت عنه الموسوعة العربية (إنه أول عربي يعشق تاريخ مصر الفرعونية ، و يكرس له حياته ليبحث في أسراره و نقوشه بكل دقة و نشاط ، ليغرس في نفوس أبناء جيله الانتماء للتاريخ و للوطن بإنشاء مدرسة وطنية عربية عام **١٩٢٣م** ، كان لها الفضل في إقبال المصريين على دراسة تاريخ وطنهم المجيد) .

إنه العالم الأثري .. أحمد كمال باشا ، أول عربي يعشق تاريخ الفراعنة و آثارهم التي ظلت مهملة سنين طويلة ، و لا يدرك أسرارها عقل ، و لا تمتد إلى أحجارها و نقوشها بالبحث و التنقيب يد ، لتكشف عن تاريخها و أسرارها العلمية .

كان تاريخ مصر القديم لغزًا مجهولًا ، ومع ذلك عاشت تلك الآثار الخالدة تتحدى الفناء بشموخها ، حفظها تراب مصر على مر الأزمان ، وظل الناس

جيلاً بعد جيل ، و عصرًا بعد عصر ، يأتون إليها و يشاهدونها ، يقفون أمامها وقفة إجلال ، و لا يملكون إلا أن يصفوا روعتها ، ويسجلوا عظمتها في دهشة وإعجاب ، منهم الفاتحون الغزاة ، و منهم السائحون العابرون ، و منهم المؤرخون و الرحالة والعلماء .

إلى أن جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م، بقيادة (نابليون بونابرت ،) وتم العثور عام ١٧٩٩ م ، على حجر رشيد ليتمكن الأثري الفرنسي (شامبليون) من فك رموز الحجر ليظهر علم الآثار المصرية ، حينها تنبهت أوروبا لقيمة الحضارة المصرية ، وأصبح علم الآثار حكرًا على الأجانب من دون المصريين الذين كانوا يجهلون هذا التاريخ العظيم و قيمة تلك الآثار الخالدة .

بدأ الاهتمام الحقيقي بالآثار في عهد الخديو إسماعيل ، عندما أمر بتأسيس مدرسة لتعليم اللغة المصرية القديمة للمصريين في منزل الشيخ الشرقاوي ببولاق عام ١٨٦٩م.

التحق بالمدرسة عشرة تلاميذ من المصريين الذين أتموا الدراسة الثانوية ، ويجيدون اللغة الفرنسية ، وكان أشهر من نبغ من تلاميذ تلك المدرسة (أحمد كمال) فكان بذرة طيبة صادفت أرضًا طيبة احتضنتها ، ويدًا حنونًا رعتها ، وماء صافيًا ارتوت منه ، فأينع و أثمر

تخرج أحمد كمال في مدرسة (اللسان المصري) لتعليم اللغة المصرية ، وكان الوحيد من زملائه الذي اشتغل بالآثار ، فالتحق بالمتحف المصري في وظيفة أمين مساعد، ولم يكتف أحمد كمال بعمله في المتحف ، بل كانت له أبحاثه التاريخية الأثرية ، فكان يناقش علماء أوروبا في آرائهم العلمية .

اختار أحمد كمال دراسة علم الآثار ، رغم أن الطريق أمامه لم يكن مفروشًا بالورود ، بل كان محفوفًا بالعقبات و الصعوبات التي يضعها أمامه علماء الآثار الأوروبيون ، احتكارًا منهم لهذا العلم ، إلا أن ذلك لم يزده إلا إصرارًا علي مواصلة رحلته ، وشق طريق وسط هؤلاء العلماء ، ليقوم بتعليم أبناء وطنه علم الآثار ، ويتخرج على يديه طلبة مصريون ، شقوا طريقهم و كان قدوتهم أستاذهم أحمد كمال باشا الذي بذل جهودًا كبيرة لدعوة الشباب لدراسة علم الآثار و تاريخها ، بإنشاء مدرسة لدراسة اللغة المصرية .

طالب أحمد كمال باشا و سعى لإنشاء المتاحف الإقليمية – وهي التي توجد بكل محافظة من محافظات جمهورية مصر العربية لتحفظ الآثار التي تُكتشف على أرضها – و طالب أن يتولى المصريون التنقيب عن آثار الفراعنة الشامخة ..

يعَد كتاب (العقد الثمين في محاسن أخبار و بدائع آثار الأقدمين) الذي كتبه العالم الأثري أحمد كمال باشا عام **١٨٨٣** ، أول دراسة تاريخية علمية عن الحضارة المصرية القديمة باللغة العربية ، يكتبه عالم مصري متخصص في علم الآثار ، وهو الكتاب الذي ساهم في تشكيل فكر عميد الأدب العربي دكتور طه حسين ، الذي ارتبط بالأثري أحمد كمال باشا ، و كان قدوته في الإصرار و الاجتهاد ..

في أغسطس عام **١٩٢٣** م ، رحل عاشق التاريخ المصري القديم أحمد كمال باشا الذي رثته الأديبة الشهيرة (مي زيادة) بقولها :

(كان مثالا للكمال في البحث العلمي ، و العمل العلمي و الخلق العلمي ، و مثله بين العلماء في مصر قليل)

و ما يزال كل نقش سكن جدران المعابد يتذكره بكل الفخر والحنين ..